﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨٢﴾ [يونس: 82]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

يُصلِحُ اللهُ عملَ المصلحينَ بتثبيتِ الحقِّ وتقويتِهِ وإظهارِهِ

بعدَ أنْ بيّنَ تعالى أنّهُ لا يُصلحُ عملَ المفسدينَ، عطفَ عليهِ نقيضَهُ وهوَ إصلاحُ عملِ المُصلحينَ[1]، وإثباتُهُ وإظهاره وتقويته، بأوامرِهِ وكلماتِهِ التّكوينيّةِ، ومُقتَضى مشيئتِهِ التّشريعيَّةِ إلى رسلِهِ ولو كره المفسدون المجرمونَ؛ كفِرعونَ ومَن شايعَهُ، ومَن سار على نهجه إلى يوم القيامة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَيُحِقُّ﴾: أصْلُ (حقّ) يَدُلُّ على إحْكامِ الشَّيءِ وصِحَّتِهِ[2]، فالحَقُّ: الثَّابِتُ، يُقالُ: حُقَّ لَهُ أن يَفْعَلَ كذا، يَحِقُّ، حَقًّا، أيْ: ثَبَتَ. وضِدُّه: الباطِلُ[3]. ويأْتي الحَقُّ بِمعنى المَوجود، وضِدُّه: المَعدومُ. ويُطلَق على الواجِبِ واللَّازِمِ، فيُقَال: يَحِقُّ عليك أن تَفْعَلَ كذا؛ أيْ: يَجِبُ[4]. ويُسْتَعْمَلُ بِمعنى المُؤَكَّدِ المُتَيَقَّنِ. والحَقِيقَةُ: اليَقِينُ، وضِدُّها: الشَّكُّ[5].

2) ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: أصلُ اشتقاق الكلام مِنَ الكَلْم، وهو التَّأثير المدرَك بإحدى الحاسَّتين، فَالْكَلَامُ: مُدرَكٌ بحاسَّة السَّمع، والكَلْمُ: بحاسَّة البَصَر[6]، وَحقيقته: النُّطْقُ المَفْهُومُ، يُقَالُ: كَلَّمَ يُكَلِّمُ تَكْلِيمًا وكَلَامًا، أيْ: نَطَقَ نُطْقًا مَفْهُومًا، وقيلَ: أصْلُ الكَلَامِ مِنَ الكَلْمِ، وَهُوَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/175.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حق).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (حقق).
(4) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (حق).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (حقق).
(6) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحُفّاظ: (كلم)، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/73، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعريف، ص: 283.

الجَرْحُ والشّقُّ؛ لِأَنَّهُ يَشُقُّ الأسْمَاعَ بِوُصُولِهِ إِلَيْهَا، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ يَشُقُّ المَعَانِي[1]، وكلماتُ اللّه تعالى: حُجَجُه الَّتي جعلَها لعباده سلطانًا مُبينًا. والمراد بـ ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ في الآية: الحُجَّة القويَّة.

3) ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: أصْلُ الكَلِمَةِ مِنَ الجَرْم، وهو: القَطْعُ[2]، وقيل: أصْلُه الكَسْبُ، وفُلانٌ جَرِيمَةُ أهْلِه، أي: كاسِبُهُم، ومنه سُمِّيَ الذَّنْبُ جُرْمًا؛ لأنَّهُ كَسْبٌ لِصاحِبِهِ[3]. والإجْرَامُ: ارْتِكَابُ الْجُرْمِ؛ وَهُوَ الْإِثْمُ الْعَظِيمُ، وَأعْظَمُ بالإجرام الكفْر[4]، يُقال: أجْرَمَ الرَّجُلُ: إذا ارْتَكَبَ ذَنْبًا أو جَنَى جِنايَةً[5]. وَالْمُجْرِمُ في اصْطِلَاحِ الْقُرْآنِ هو الْكَافِرُ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المُطفِّفين: 29]، وهو المُراد هنا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا يُصلح اللهُ عملَ المفسدين، بل يمحَقُه ويُبطلُه

يُثبِّتُ اللّه الحَقَّ الّذي جاء مِن عندِه، ويُوضِّحُه ويُظهِرُه على مَن خالَفَه، بكَلِماتِه الكونيَّة، وكَلِماتِه التَّنْزيليَّة التي يُوحيها إلى رُسُلِه، ومِنها: الإخبارُ بإظهارِ الحقِّ وإعزازِه، ولو كَرِه ذلك الكافرون المُجرِمون مِن آل فرعون[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الوَصْلِ بالعطفِ:

إثرَ إبطالِ الباطلِ يُحقُّ اللهُ الحقَّ ويُقَوِّيهِ وينصرهُ ويُثبتُ المعجزةَ

قولُه تعالى: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ جملةٌ موصولةٌ بما قبلَها، معطوفةٌ على قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾؛ فإنّ في إبطال الباطلِ نُصْرةً للحقّ، وتقويةً لهُ، وإحقاقًا وإثباتًا للمعجزةِ[7].

(1) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النَّواظر في علم الوجوه والنَّظائر، ص: 523.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (جرم).
(3) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (جرم).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/210.
(5) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (جرم).
(6) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/369، والشّوكانيّ، فتح القدير: 2/529، رشيد رضا، تفسير المنار: 11/382.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/257.

والجملةُ معطوفةٌ على ما قبلَها[1] من قولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّـهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾، فإنّ عدمَ إصلاحِ عملِ المفسدينِ مِن سَحَرَةِ فرعونَ ومَن مالأَهُ هو إصلاحٌ، وهو في حقيقتِهِ نُصرةٌ للحقِّ وإظهارٌ وتثبيتٌ له.

بيانُ إصلاحِهِ عملَ المُصلحينَ هوَ إحقاقٌ للحقّ وإظهارٌ لهُ

وعطفُ جملةِ إحقاقِ الحقّ هنا هوَ في حقيقتِهِ توكيدٌ لنَفْيِ إصلاحِهِ عملَ المفسدينَ، وتقريرٌ لهُ على طريقةِ الإثباتِ؛ فقدْ جمعَ بينَ النَّفي: ﴿لَا يُصۡلِحُ﴾، وبين الإثباتِ: ﴿وَيُحِقُّ﴾؛ لتقريرِ هذهِ الحقيقة[2]، وأنّه تعالى المصدرُ الوحيد لإحقاقِ الحقّ، وإبطالِ الفساد، وأنّ نفيَه إصلاحَ عملِ المفسدين وإثباتَ الحقِّ، إحقاقٌ لمنهجه، وترسيخٌ لسُنَنِه الكونيّة.

إحقاقُ الحقّ توكيدٌ لنفي إصلاحِ عملِ المفسدينَ وتقريرٌ لهُ

التّعبيرُ عن فعلِ الحقّ مضارعًا:

قالَ تعالى: ﴿وَيُحِقُّ﴾ فعلٌ بصيغةِ المضارعِ، أيْ: يُثبتُ الحقّ الّذي يأتي بهِ الرّسلُ رحمةً للعالمينَ[3]، والتَّثبيتُ بهِ حاجةٌ إلى العملِ والحركةِ والتَّجدُّدِ، والمضارعُ دالٌّ على الحالِ والاستقبالِ؛ فهوَ متجدّدُ المعاني، وهكذا هو دأبُ الرُّسلِ ﷺ ومَنْ تبعهُمْ في إحقاقٍ دائمٍ مستمرٍّ للحقِّ معَ الباطلِ حتّى قيامِ السّاعةِ.

إحقاقُ الحقِّ وتثبيتهُ مستمرٌّ أمامَ الباطلِ حتّى قيامِ السّاعةِ

إظهارُ لفظِ الجلالةِ:

أظهرَ الاسمَ الجليلَ في قولِه تعالى: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾، والمقامُ مقامُ إضمارٍ بعدَ أن ذَكَرهُ في قولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾، وفي إظهارِهِ قصدٌ إلى إلقاءِ الرَّوعِ، وتربيةِ المهابةِ في نفوسِ المخاطَبينَ[4].

إظهارُ اسمِ الجلالةِ وحقّهُ الإضمارُ بغرضِ إلقاءِ الرَّوعِ والمهابةِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/175.
(2) الطّباطبائيّ، الميزان: 11/111.
(3) مجمع البحوث الإسلاميّة، التّفسير الوسيط: 4/128.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/170، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/257.

تعريفُ لفظِ ﴿ٱلۡحَقَّ﴾:

أوردَ لفظَ ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ مُعرَّفًا بالألفِ واللّامِ، والتَّعريفُ هنا للعَهْدِ؛ فالمرادُ بالحقِّ هنا: دينُ الإسلامِ المعروفِ عندَ المسلمينَ وغيرِهم، وهو مبثوثٌ بهذا الاسمِ في مواضعَ كثيرةٍ مِنَ القرآنِ الكريمِ[1].

التّعريفُ للعهدِ، فالمرادُ به دينُ الحقِّ وهوَ الإسلامُ

بلاغةُ جناسِ الاشتقاقِ في ﴿وَيُحِقُّ﴾ ﴿ٱلۡحَقَّ﴾:

بينَ ﴿وَيُحِقُّ﴾ و﴿ٱلۡحَقَّ﴾ جناسُ اشتقاقٍ[2]، ودلالتُهُ: أنّ الأصلَ في مادّةِ الحقّ هوَ فعلُ الحقّ[3]، ونظيرُهُ قولُه ﷺ: «لا تَقُولُوا السَّلامُ على اللّه؛ فَإنَّ اللّه هُوَ السَّلامُ»[4]. وحاصل الجمع بينَ اللَّفظين في هذا الجناس: ديمومة إعلائه تعالى للحَقّ؛ فالحقّ ثابتٌ، وإحقاقُه مُتجدِّد مُستمرٌّ.

الأصلُ في مادَّةِ (الحقّ) هوَ فعلُ الحقّ

في قولِه تعالى: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾ نجد أنَّ محصولَ التّعليلِ هوَ محصولُ المُعلَّلِ نفسِه، وشأنُ العِلّةِ أن تكونَ خِلافَ ذلكَ، فإذا جاءَ التّعليلُ مُساويًا للفعلِ؛ فإنَّ القَصْدَ أن يكونَ إحقاقُ الحَقِّ لذاتِ الفعلِ، لا لغرضٍ آخرَ يعودُ عليه[5].

تعليلُ الإحقاقِ بالحقِّ

والتَّعليلُ بالمعلّلِ نفسِه في جملةِ ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾ يتحصّلُ منه معنى الحَصْرِ، أي: إنّهُ لا يحقّ إلّا الحقّ، وهو حصرٌ ناشئٌ مِن مستتبعاتِ الجملةِ أو التَّركيبِ، وليسَ مِن دلالةِ اللّفظِ[6]؛ فإنّ أسلوبَ الحصرِ معروفٌ بألفاظِهِ وأدواتِه، وليسَ التّعليلُ واحدًا منها.

التّعليلُ يفيدُ الحصرَ المُستفادَ من مُستتبعاتِ التَّركيبِ، وليسَ من دلالةِ اللّفظِ

دلالةُ إحقاقِ الحقّ:

والمُرادُ منْ تحقيقِ الحقِّ أوْ إحقاقِه في الآيةِ الإظهارُ، أي: إظهارُ كونِ ذلكَ الحقّ حقًّا، تارةً بإظهارِ البراهينِ والبيِّناتِ، وتارةً بنصرِ

إحقاقُ الحقِّ يكونُ بالدّلائلِ وبتقويةِ أمرِ الحقِّ وقهرِ رؤوسِ الباطلِ، أو بإظهارِ الإسلامِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/271.
(2) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 11/239.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/271.
(4) مالك، الموطأ، الحديث رقم: (148).
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/272.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/272.

أمراءِ الحقِّ وخذلانِ رؤساء الباطلِ[1]. أو أنّهُ يريدُ أنْ يُظهرَ الإسلامَ على جعلِ الحقِّ اسمًا معرفةً واقعًا على دينِ الإسلامِ، والقولُ بإظهارِهِ تحقيقٌ وإحقاقٌ لهُ؛ لأنّ عدمَ ظهورِهِ يُصيِّرُهُ مُشبهًا الباطلَ[2].

بلاغةُ الطّباقِ:

المعنى إنّ اللهَ تعالى يُبطلُ سِحرَهُم الباطلَ ويُحقُّ الحقَّ

بين جملةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾؛ وجملةِ ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾ طباقٌ، وهو من بديعِ الأسلوبِ البلاغيِّ، ويُسمّى أيضًا بمجاورةِ الأضدادِ[3]، ففي هاتين الجملتيْنِ معنًى داخلٌ تحتَ هذا الفنّ؛ فالمعنى أنّه تعالى يُبطلُ سِحْرَهمُ الباطلَ ويُحقُّ الحقّ[4]، فإنّ عملَهمُ السّحرَ هو الباطلُ بعينِهِ، كما عُلِمَ في الآيةِ السّالفةِ، وأنّه تعالى قادرٌ على إزالتِه ومَحْقِه، وإثباتِ الحقِّ في الوقتِ نفسِه.

معنى الباءِ في قوله: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾:

الباءُ للسَّببيَّةِ، وهذا الإحقاقُ ممدوحٌ لحصولِه بموجبِ كلماتِ اللهِ

الباءُ في قولِه: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ دالَّةٌ على السَّببيَّةِ، أي: إنّ هذا الإحقاقَ كانَ بمدعاةِ كلماتِهِ وأوامرِهِ الّتي تقعُ لا محالةَ، وفيهِ مدحُ هذا الإحقاقِ؛ لأنّهُ حادثٌ بسببِ كلماتِهِ تعالى[5].

إيثارُ لفظِ الكلماتِ:

كلماتهُ سبحانَه هي ما أنزلَ على أنبيائِهِ أو بوعدِهِ الصّادقِ لمُوسى عليه السلام

ومعنى (الكلماتِ) في قوله: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: هيَ كلُّ ما أنزلهُ الحقُّ سبحانَهُ في كُتبِهِ على رُسُلِهِ وأنبيائِهِ، المتضمِّنةِ على البراهينِ والأدلَّةِ والحُجَجِ، أو أنّها الوعدُ الصّادقُ لمُوسى عليه السلام في أن يُظهرَهُ، أو وَعْدُهُ السَّابقُ منْ قضائِهِ وقَدَرِه في نَصْرِهِ على السّحرةِ، بأوامرِهِ وأحكامِهِ وقضائِهِ[6].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 15/458.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/369.
(3) ابن المعتزّ، البديع في البديع، ص: 65.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 12/341.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/272، 11/257.
(6) القنوجيّ، فتح البيان في مقاصد القرآن: 6/107.

كـلـمـاتُ الـلـهِ هـي مـا دلّ على مُـرادِهِ؛ حقيقةً أو مجازًا

وآثرَ البيانُ القرآنيُّ مفردةَ الكلماتِ لدقّةِ تعبيرِها؛ فهيَ تدلُّ على مُرادِهِ تعالى وكلامِهِ النّفسيّ، وهو على صنفيْنِ: أن تكونَ على وجهِ الحقيقةِ؛ بأن تأتيَ على الأشكالِ اللّفظيّةِ المعهودةِ الّتي يفهمُها البشرُ ويُبلّغونَ بها؛ كالقرآنِ ونحوِه، وقد تكونُ على وجهِ المجازِ؛ بأن تأتيَ على غيرِ المعهودِ مِنَ الألفاظِ، كخطابِهِ للملائكةِ المحكيِّ في الكتابِ الكريم[1].

كلماتُ اللهِ هيَ أوامرُهُ وما قضاهُ

والمرادُ بكلماتِ اللّه الواردةِ في الآيةِ: الأوامرُ والقضايا منهُ[2]؛ وهي تُشيرُ إلى مجموعةٍ مِنَ المفاهيمِ أو التّعاليمِ، والأقضيةِ الرّبّانيّةِ في مختلفِ الشُّؤونِ الكونيّةِ.

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظِ ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾:

كـلـمـاتـهُ هـيَ تـعـلّـقُ قُـدرتـهِ تعالى بالإيجادِ

في قولِه تعالى: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ استعارةٌ؛ فإنَّ لفظَ الكلماتِ ليس على الحقيقةِ، وإنّما هيَ تعلّقُ القُدرةِ الإلهيَّةِ بالإيجادِ، الّذي يعبّرُ عنه بالتّكوينِ الّذي يسيرُ على وَفْقِ إرادتِه وعِلْمِهِ سبحانَهُ، وهو تعلّقٌ يُشبهُ الكلامَ الّذي يَنْتُجُ عنه استيعابُ المعاني، مع دلالتِهِ على إرادةِ المتكلّم[3].

دلالةُ جمعِ ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾:

تـدلّ على جمعِ الأوامـرِ المقابلةِ للنّواهي

قولُه: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي: بأوامرِه وقضاياه، وحيث جيء بالكلمات جمعًا فهي الأوامرُ التي تقابل النَّواهي، وحيث جيء بها مُفردًا فهو الأمر الذي هو واحدُ الأمور[4].

تفيدُ عمومَ أنواعِ الـكـلامِ الّـذي يُوحِي بِهِ اللهُ

وهذا الجمعُ يدلُّ على العموم؛ فإنَّ الكلماتِ عامّةٌ في أنواعِ الكلامِ الّذي يُوحيهِ سبحانَهُ، وهوَ دالّ على الإرادةِ الرّبّانيّةِ في إحقاقِ الحقِّ وتثبيتِه؛ كآياتِهِ القرآنيّةِ في قتالِ الكافرينَ، ووَحْيِهِ إلى الملائكةِ في نُصرةِ المسلمينَ[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/271.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/170.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/257.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 7/544.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/272.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ﴾:

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ دالّةٌ على الحالِ[1]، أي أنّهُ تعالى يُحقّ الحقَّ بكلماتِهِ في الحالِ الّتي يكرهُ فيها المجرمون ذلك.

يحقّ اللهُ الحقّ بكلماتِهِ في حالِ كَـرِه المجرمونَ ذلكَ

معنى ﴿وَلَوۡ﴾:

معنى ﴿وَلَوۡ﴾ في الآيةِ هو معنى (إنْ) نفسِهِ، وهو القطعُ في الشّكِّ؛ فإنَّ حصولَ الكُرْهِ مِنَ المجرمينَ لا يمنعُ مِن إظهارِ الحقِّ؛ فإنّهُ ثابتٌ ولا يُتوَهَّمُ نفيُهُ، وفيهِ إخبارٌ بجهلِهِم وحماقتِهِم، وأنّ مقامَهمْ مقامُ ظنٍّ، يظنُّ بهِ المرءُ أنّهم لو كرهوا انبعاثَ الحقِّ وظهورَه لمْ يظهرْ[2].

إخـبـارٌ بجهلِ المجرمينَ ونفيِ تـوهُّـمِـهـم أنَّ كُرهَهم مانعٌ مِن إظهارِ الحقِّ

و﴿وَلَوۡ﴾ وصليّةٌ مقتضيَةٌ أنَّ ما بعدَها غايةٌ لمنْ يظنُّ تخلّفَ حُكمِ ما سبقَها، وإنّما كانَ الكُرهُ الحاصلُ مِنَ المجرمينَ لإحقاقِ الحقِّ غايةً وغَرَضًا، لما يُظنُّ فيهِ تخلُّفُ الإحقاقِ وعدمُ حصولِهِ؛ لأنَّ تلكَ الكراهيَةَ باعثٌ لهمْ على معارضتِهِ ومحاولةِ دَحْضِهِ[3].

كراهية المجرمين للحقِّ باعثٌ لهمْ عـلى معـارضـتِهِ ومحاولةِ دَحْضِهِ

التّعبيرُ عنِ الكُرهِ بصيغة الماضي:

جاءَ بفعلِ الكراهيَةِ في قولِه: ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ ماضيًا لدلالتِهِ على ثبوتِهِ عليهِم؛ فإنّهم عريقونَ في ممارستِهِ والتّخلُّقِ بهِ، وفي قطعِ ما أمَرَ أنْ يُوصَلَ؛ فكانَ أن بطلَ سِحْرُهم، واندحرَ مكرُهم[4]، وظهرَ الحقُّ جليًّا واضحًا؛ بما عبّرَ عنه بإحقاقِهِ.

الكُرْهُ ثابتٌ فيهم فـهـم عـريـقـونَ في مـمـارسـتِـهِ والتّخلُّقِ بهِ

بلاغةُ الكنايةِ في لفظِ (الكُرْه):

التّعبيرُ بفعلِ الكُرْهِ مِن بابِ الكنايةِ[5]؛ فالكراهيَةُ هنا تعبيرٌ

إرادةُ الله نافذةٌ رغـم كـراهـيـةِ المجرمينَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/257.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/350.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/257.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/175.
(5) الكناية: "لفظٌ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه أي: إرادة ذلك المعنى مع لازمه كلفظ: (طويل النِّجاد)، والمُراد به طُول القامة مع جواز أن يُراد حقيقة طول النّجاد أيضًا". يُنظر: التّفتازانيّ، مختصر المعاني: 1/257.

عن لوازمِها، وهيَ الاستعدادُ لمعارضةِ غرضِ تلكَ الإرادةِ، فإرادةُ المشركينَ إحقاقُ الباطلِ، وإرادةُ اللّه نافذةٌ رغمًا عن كراهيةِ المجرمينَ، ومجرَّدُ الكراهية ليسَ مانعًا منْ إحقاقِ الحقِّ؛ لقُصورِه على الكارِهِ، إلّا إذا كان الكُرْهُ باعثًا على مُدافعة الحقِّ المكروهِ بزَعْمهم[1].

وجْهُ تعريفِ ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾:

أرادَ بالمجرمينَ فرعونَ ومَلَأَهُ، ويجوزُ عموم المجرمين

التّعريفُ في لفظةِ ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ للعَهدِ، وهم فرعونُ وقومُهُ ممّن تبِعَ سبيلَهُ، أو يُرادُ منهُ الجنسُ؛ فيكونُ الإطلاقُ على المجرمينَ عمومًا، وآلُ فرعونَ داخلونَ تحتَ هذا العمومِ مِن بابِ أوْلى[2].

عِلّة جمعِ ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ جمعَ سلامةٍ:

عافوا العقلَ وانضموا إلى زُمرةِ المجرمينَ

المرادُ بـ ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ كلُّ مَنِ اتّصفَ بالإجرامِ مِن سَحَرةِ فرعونَ وغيرِهم[3]، وفي جمعِهم هذا الجمعَ تشنيعٌ عليهم، وتبشيعٌ لحالِهم؛ فإنّ شأنَ الدّاخلِ تحتَ هذا الجمعِ أن يكونَ عاقلًا[4] لكنّهم تركوا العقلَ والحِجا، وانضموا إلى زُمرةِ المجرمينَ المُستحقّينَ عذابَ اللّه وغضبَه.

وجهُ العدولِ عن ضميرِ الخطابِ إلى الاسمِ الظّاهرِ:

وَصَفَهُم بالإجرامِ من بابِ التّعريضِ، ورعايةً للفاصلةِ

في العدولِ عن ضميرِ الخطابِ إلى الاسمِ الظّاهرِ وجهٌ ومعنًى، وهو وصفُهم بالإجرامِ مِن بابِ التّعريضِ بهم[5]، فلو لم يعدلْ لكانَ الكلامُ خاليًا مِن ذاكَ الوصفِ، بقولِه: ولو كرهتُم؛ فيفوتُ المقصودُ، فضلًا عن رعايةِ الفاصلةِ القرآنيَّةِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/273.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 2/529.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/169.
(4) جمع المُذكّر السّالم يُشترط فيه العقل وليس كذلك مع جمع التّكسير. يُنظر: ابن السّرّاج، الأصول في النّحو: 1/47.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/258.

سِرّ العدولِ عن خطابِهم بصفةِ الإجرامِ:

لايَنَهم بالقولِ تلميحًا لا تصريحًا

عدلَ عن خطابِهم بصفةِ الإجرامِ بأنْ يقولَ لهمْ: (وإنْ كرِهتُمْ أيّها المجرمونَ)؛ لأنّهُ لمْ يُرِدْ أن يُواجهَهُم بالذّمِّ والتّوبيخِ المباشِرِ، وقوفًا عندَ أمرِهِ تعالى بأنْ يُلَاينَهُمْ بالقولِ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: 44]؛ فجاءَهمُ الكلامُ في صورةٍ عامّةٍ كلّيّةٍ، وهم مِن جزئيّاتِها تلميحًا لا تصريحًا[1].

دلالةُ التّعبيرِ بـ ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، والتّعبيرِ بـ ﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ في الآيةِ قبلَها:

لمّا أفسدوا بسِحرِهم، انقطعوا عن هدايتِهِ سبحانَه، وانفصلوا عنِ الحقّ وأهلِهِ

وصفَهُم البيانُ القرآنيُّ في الآيةِ السّابقةِ بالمفسدينَ؛ لأنَّ السّحرَ سببٌ رئيسٌ مِن أسبابِ الإفسادِ في الأرضِ، فيما وصفَهم هنا بالمجرمينَ، والإجرامُ يعني في أصلِهِ اللُّغويّ: القَطعَ والانفصالَ[2]، فكأنّهم قطعوا سبيلَ الحقِّ والهدايةِ على أنفسِهِمْ، وبَنَوا على ذلكَ أمرَهُم؛ كراهيَةَ عُلُوِّ الحقِّ وظُهورِهِ[3]؛ فيكونُ وَصْفُ الإفسادِ مُتقدِّمًا على الإجرامِ، فإنّهم لَمّا أفسدوا بسِحْرِهِم؛ أوصلَهم ذلك إلى الانقطاعِ عن هدايتِهِ تعالى، والانبتاتِ عنِ الحقِّ وأهلِهِ.

دلالةُ حاليَّةِ جُملةِ الفاصِلةِ:

يُحقُّ اللهُ الحقَّ في كلّ حالٍ

وقولُه تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ جملةٌ في موضعِ الحالِ مِن الإحقاقِ المذكورِ آنفًا، وهي معطوفةٌ على مُقدَّرٍ؛ فإنَّ إحقاقَ الحقِّ يقعُ في الأحوالِ كلِّها، ولو في هذهِ الحالِ، وإنَّما قَدَّرَ ذلك لاستقصاءِ الأحوالِ جميعًا[4].

ما عُطِفَ على الحالِ حالٌ مثلُهُ

وهذهِ الجملةُ الدَّالةُ على كراهتِهِم إحقاقَ الحقِّ جملةً، التَّحقيقُ فيها أنّها معطوفةٌ على مُقدَّرٍ يقعُ في موضعِ الحالِ، وما عُطفَ على الحالِ حالٌ مثلُه، ومثّلوا لهُ بقولهم: (أعطوا السّائلَ ولوْ جاءَ على

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/258.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (جرم).
(3) الطّباطبائيّ، الميزان: 11/111.
(4) الخرّاط، المُجتبى من مُشكل إعراب القرآن: 2/446.

فرسٍ)[1]؛ فإنَّ القولَ أنْ يُعطَى على كلِّ حالٍ، ولوْ كانَ راكبًا على فرسٍ، فحالتهُ تُنافي الصّدقةَ[2].

بيانُ الشَّبهِ بيَن الوصفِ بلفظِ الإجرام والجهل:

وُصِـفَ مُشركو مـكَّـة بالجهل إنـكـارًا عليهم، وقـــومُ مـوسى بالإجرام ترغيبًا ولينًا

عبّرَ في هذهِ الآيةِ بوصفِ ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾، فيما عبّرَ في سورةِ الزُّمرِ بـ ﴿ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤﴾ في قولِه: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤﴾ [الزُّمر: 64]، والأمرُ هنا مُتعلِّقٌ بمقامهِ ﷺ، فخاطبَهم بهذا الخِطابِ بعدَ أنْ كَرّرَ دعوتَهم مرارًا، وكانوا يُريدونَ مِنَ الرّسولِ عبادةَ آلهتِهم؛ فكانَ الإنكارُ عليهم أبلغَ وأشدّ، أمّا مُوسى ﷺ فقد كانَ في ابتداءِ دعوتهِ مُلاينًا لهم على أملِ أنْ يؤمنوا[3]، فثَمّة فرقٌ بينَ التّعبيرَيْنِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

البُغْض والكَرَاهَة:

قال أبو هلالٍ العَسكريُّ: "الفَرقُ بينَ البُغضِ والكراهةِ: أنَّه قد اتُّسِعَ بالبُغْضِ ما لم يُتَّسَعْ بالكراهةِ؛ فقيل: أُبغِضُ زيدًا، أي: أُبغِضُ إكرامَه ونَفْعَه، ولا يُقالُ: أكْرَهُه، بهذا المعنى، كما اتُّسِع بلفظِ المحبَّةِ، فقيل: أُحِبُّ زيدًا، بمعنى: أحِبُّ إكرامَه ونَفْعَه، ولا يُقالُ: أُريدُه، في هذا المعنى، ومع هذا فإنَّ الكراهةَ تُستعمَلُ فيما لا يُستعمَلُ فيه البُغْضُ، فيُقالُ: أكْرَهُ هذا الطَّعامَ. ولا يُقالُ: أُبغِضُه، كما تقولُ: أحِبُّه. والمرادُ أنِّي أكرَهُ أكلَه، كما أنَّ المُرادَ بقولِك: أُريدُ هذا الطَّعامَ، أنَّك تُريدُ أكلَه أو شِراءَه"[4]. والموضعُ يُناسب لفظَ الكُرْه، بوصفه دالًّا على عدم الرَّغبة في إحقاق الحقِّ، واستيائهم مِن ذلك، وليس للعداءِ الّذي يتضمَّنُه لفظُ (البُغْض)، بوصفه شعورًا أقوى وأعمقَ مِنَ الكُرْه؛ محلٌّ هاهنا.

---

(1) يروى على أنه حديث، والأظهر - كما عند مالك في الموطأ: 2/996 -: أنه مرسل من قول التابعي زيد بن أسلم.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/278.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/258.

(4) العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة، ص: 104.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»